

## غفران السورية

أحمد بهجت صابر

(صحفي بجريدة الأخبار المسائي)



16 مايو 2016

في خضم الأحداث الكثيرة والمريرة في بعض الأحيان كان لي شرف حضور ومتابعة مؤتمر "قضايا اللاجئين والنازحات في المنطقة العربية .. الواقع والمستقبل" الذي نظّمته منظمة المرأة العربية في الفترة من 3 حتى 5 من الشهر الجاري بالقاهرة، امتلأت الجلسات بالكثير من القصص والروايات المحزنة حتى ظننت أنه من المفترض تحويل قاعة المؤتمر إلى " بكائيات " عامة على أحوالنا المزرية في العالم العربي .

بعد انتهاء أعمال اليوم الأول وعلى طاولة الغذاء شاركني المائدة أربع سيدات سوريات من المقيّمات بالقاهرة الآن هن " غفران, نزيهة, رائدة, رشا " وبعد التعارف قصت علي السيدة غفران بعض الفظائع التي يعيشها الشعب السوري تحت نظام السفاح الأسد الابن, فأخت زوجها طالها بعض آثار السلاح الكيماوي فأصابها بشلل تام, وأولاد غفران يقيمون الآن في ألمانيا, لم تستطع خلال حديثها أن تحبس دموعها وبكاءها حينها تساقط جلد وجهي خجلاً من الأوضاع المزرية التي وصلت إليها أحوالنا بالعالم العربي ومن هذا العطب في الإدراك

لدى كثيرين لم يستطيعوا تبين حقيقة هول ما يحدث على الأرض السورية المحتلة من قبل نظام وشبيحة السفاح الأسد، وما يحدث على باقي الجغرافيا العربية .

لم يكن منى إلا أن اعتذرت لها مؤكداً " أننا السبب " فيما وصلنا إليه بسبب الخنوع والرضوخ لأهواء " المخابيل " من الحكام العرب على مدار العصر الحديث , ففي وطن عربي لايزال يبحث عن هويته حتى اللحظة ناسياً أن الإسلام هو تاريخه وهويته وثقافته ضلت الدول العربية الطريق مبكراً منذ حصولها على استقلالها الشكلي في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي , تخبطت السياسات - هذا إن وجدت - تسلق المجرمون على كراسي الحكم ووجد هؤلاء ضالتهم في فئة سوقت لهم أوهامهم وأضغاث أحلامهم .

المآسى التي سمعتها من السيدة غفران ليست الوحيدة فقد ذكرت لى أيضاً باحثة سورية مقيمة بالقاهرة ضمن المجموعة الاستشارية للهيئة العليا للمفاوضات بين جنبات المؤتمر أن زوجها لم يستطع اللحاق بها في مصر نظراً لمنع منح التأشيرات للسوريين -على حد قولها- منذ عام 2013 , معاناة السوريين لا تتوقف عند هذا الحد فهي الملهاة الأكبر في العصر الحديث منذ الحرب العالمية الثانية إن لم تجاوزها بحجم ما فيها من مآسى ودمار قياساً لرقعة الجغرافيا, فمسرحة عمليات الحرب العالمية كان يشمل قارات في حين مأساة سوريا داخل حدودها .

ما أراه وأسمعه وأشاهده عن كارثة سوريا لم أجد له شبيهاً إلا فيما قرأته بمذكرات الطبيب الياباني متشهيكو هاتشيا " يوميات هيروشيما.. 6 أغسطس - 30 سبتمبر 1945 " و التي كتبها باليابانية ثم تُرجمت إلى الإنجليزية ونقلها وعربها دكتور **رؤف عباس حامد**, حيث كان هاتشيا مديراً لمستشفى المواصلات ب هيروشيما التي كانت تقوم بعلاج موظفي وزارة المواصلات بالمنطقة, ويروى من خلال يوميات الكتاب أشياء لا تصدق يعجز العقل البشري عن إدراكها واستيعابها فينقل عن أحد الأشخاص قوله ".رأيت رجلاً يجلس فوق دراجته وقد تقحم جسده وكان على ما يبدو يلتمس سبيلاً للفرار حين وقعت الواقعة .." يقصد إلقاء القنبلة الذرية على مدينته هيروشيما .

ويُرجع عباس حامد في مقدمة الكتاب ما حل باليابان نتيجة طبيعية لسيطرة العسكريين على الحكم هناك، فالفظائع التي يرويها هاتشيا في الكتاب لا تُصدق فالأجساد تنفجر وروائح اللحم البشري المحروق في كل مكان تقريباً ورغم كل هذه المآسي تجد من يسوق أيضاً للبلهات والترهات فما هو يقول " ..وبعد أن بلغتنا أنباء قصف ناجازاكي جاءنا رجل من فوتشو ذكر لنا أن اليابان تملك هذا السلاح الغريب ولكنها حتى الآن كانت تحيطه بسرية بالغة ولم تستخدمه ليقينها أنه سلاح يكفى اسمه لإثارة الفزع والرعب ...". ولا يمكنني أن استوعب هذه الخرافات إلا من الواقع المزرى الذي نعيشه جميعاً .

لكن السؤال يبقى هل لملهاة سوريا من نهاية ؟ ! رئيس الوزراء البريطاني السابق جوردون براون يجيب في مقالة له على موقع الجزيرة نت مترجمة عن موقع بروجيكيت سينديكيت بعنوان " زرع بذور المستقبل في سوريا " إننا نواجه خطر إنتاج جيل ضائع من الشباب السوري .

حجم المأساة السورية فوق الوصف أطفال بدون عوائل، الكثيرون فقدوا أوراقهم الثبوتية، لا أمل في التعليم لدى البعض لسد الاحتياجات الإنسانية الملحة، أعداد اللاجئين والنازحين داخل وخارج سوريا يتجاوز قرابة نصف المجتمع، دولة لا تعرف ماذا ستفعل في حال انقشع الهم الأسدي إزاء داعش وروافده ؟، أعداد القتلى شارفت على نصف مليون إنسان، وإزاء كل ذلك سيكون من العبث أن نقول لهؤلاء المنكوبين إن الأمل لا يزال معقوداً .

نعم الأمل لا يزال معقوداً فمن كان يدرى أن الحجر الأسود الذي سُرق لمدة 20 عاماً تقريباً على أيدي القرامطة سيعاد لمكانه مرة أخرى ؟ جانب من مشهد الأمل يرصده براون في مقاله هذا حيث يقول " لا يمكننا انتظار نهاية الحرب لإصلاح ما تهدم وإعادة بنائه، خاصة عندما يكون هناك عمل ينبغي القيام به اليوم. وتسهيل الوصول إلى المعلومات سنوفر للاجئين الفرصة لمواصلة دراستهم. وبما أن الأمل بدأ يعود تدريجياً إلى سوريا، فإن شبابها الضائع سيضع بنفسه الأسس الجديرة لإعادة بناء وانبعاث بلاده."، هذا جانب ولاشك في غاية الأهمية لكن يبقى على الدول العربية أن تقطع اتصالاتها مع نظام السفاح الأسد ، وللسيدة غفران وأخواتها وعائلتها وأقاربها أقول لك لا تسأليني عن العدل في بلاد المسلمين فقد مات عمر!

[ahmadibraim@yahoo.com](mailto:ahmadibraim@yahoo.com)

<http://albedaiah.com/articles/2016/05/16/113153#sthash.QuMJRxf5.dpuf>